# التناسب السياقي للصور المتناظرة في تشبيهات القرآن الكريم

د. منير عبده علي أنعم
أستاذ البلاغة والأدب العربي المساعد
كلية التربية -جامعة صنعاء
moneeraaa@yahoo.com

3

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة الصور المتناظرة في تشبيهات القرآن الكريم ، التي تكررت في سياقات متعددة في سور القرآن الكريم ، من حيث دلالتها في خطها الرأسي ، ومن حيث التغييرات الحاصلة في سياقاتها ، بما يتلاءم مع الأحوال والمواقف التي وردت فيها، مما يعكس جانباً من جوانب الإعجاز القرآني في هذا التنوع الأسلوبي في هذه الظاهرة القرآنية ، ويشي بطاقات دلالية متجددة مع كل سياق ومع كل تغاير ، سواء في بنية الصورة، أو في روادفها اللفظية المصاحبة لها، أو في المعنى الذي سيقت له الصورة ، الذي قد يختلف من سياق لآخر.

وقد تكون هذا البحث من مقدمة ومحورين بحثيين ثم خاتمة؛ وفقاً للخطوات الآتية :

أولاً: المقدمة، وتتضمن:

1 - دوافع اختيار الموضوع ومبرراته.

2 - أهمية البحث وأهدافه.

3 - مصطلحات البحث.

4 - منهج البحث.

ثانيًا: المحور الأول: ويتضمن الإطار النظري والدراسات السابقة.

ثالثًا: المحور الثاني: ويتضمن الجانب التطبيقي للبحث، ويتكون من ستة مباحث؛ تخص المعاني القرآنية التي حصل في التناظر والتكرار ، وهي على النحو الآتي:

1. تصوير عذاب الأقوام السابقة.

2. تصوير الحياة الدنيا.

3. تصوير الحور العين والغلمان المخلدين.

4. تصوير ضلال أمة الكفر.

5. تصوير اتساع الجنة.

6. تصوير أحوال يوم القيامة.

رابعًا: الخاتمة وأهم التوصيات والمقترحات البحثية.

## Abstract

This research examines the asymmetric images in the similes which has been repeated in multiple contexts of the Holy Quran. These asymmetric images of similes in the Holy Quran are examined in terms of their significance in the vertical line, and in terms of the changes in their contexts; in a way that harmonizes with the conditions and situations in which they are perceived. This phenomenon of stylistic diversity reflects an aspect of the Quranic miracles. It also demonstrates a renewed semantic/indicative sign with every context and variation, either in the image structure, in the accompanying verbal synonyms or in the sense where the image cited that may differ from one context to another.

This research proceeds in accordance with the Quranic meanings that occur in symmetry and repetition, which is as follows:

1. Portraying the torment of the previous clans.
2. Portraying life.
3. Portraying the women of paradise ( Al-Hoor Al-Aeen).
4. Portraying the delusion of the disbelievers.
5. Portraying the breadth of the paradise.

Portraying the conditions of the Judgment Day.

**أولاً: المقدمـــــــــــة.**

**دوافع اختيار الموضوع ومبرراته.**

أخذت أبحاث البلاغة القرآنية عناية كبيرة لدى الدارسين في مجال البحث عن أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، والكشف عن ظواهره الجمالية وتشكلاته الأسلوبية في ذلك الكتاب الكريم، وقد كان ذلك الاشتغال العلمي يأخذ مناحي عدة؛ بعضها يقوم على التنظير في إطار المعارف العامة للبلاغة العربية من خلال مباحث علوم البلاغة العربية ، وبعضها أخذ منحى التطبيق للكشف عن أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في ظواهره الأسلوبية المختلفة، وبعضها كرَّس جهده في البحث في ظاهرة أسلوبية واحدة، سواء فيما ينتمي لعلم البيان أو المعاني أو البديع.

وكان من أبرز مظاهر هذا الاهتمام أن فرضت قضية الصورة البيانية في القرآن الكريم نفسها على مساحة كبيرة من جهود أولئك الدارسين ، ولعل من أهم تلك الصور التشبيه في القرآن الكريم ، والذي اعتمد فيه الدارسون الكشف عن ظواهره الأسلوبية وتلوناتها المختلفة، وبيان الأثر البلاغي الذي يتركه التشبيه في إبراز الصورة البلاغية.

وقد لفت نظر الباحث أن قدرًا من الصور البيانية في تشبيهات القرآن الكريم تتكرر في سياقات مختلفة، وبدلالات متجددة وبنى صرفية تتطابق حيناً وتتشابه وتتناظر حينًا آخر، وهي في كلٍّ تتلاءم مع سياقاتها الجديدة وتضيف إليها، وقد كان ذلك دافعاً لي لتتبع تلك الظاهرة، والنظر في تناسباتها السياقية ومنتوجاتها الدلالية ضمن ما يندرج تحت اهتمامات علم المناسبة في القرآن الكريم.

أهمية البحث وأهدافه :

تتجلى أهمية هذا البحث في أنه يجمع بين علمي البيان والمعاني ، من حيث النظر في طريقة أداء المعنى في التشبيه ، ثم يدرس مواضع مجيء الصور المتناظرة في أكثر من سياق ، محاولة في الكشف عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني في هذه الظاهرة رأسياً وأفقياً ، ذلك أن الصور المتناظرة في تشبيهات القرآن الكريم ، والتي تكررت في سياقات مختلفة ، لم تظهر بالتشكل ذاته، إنما اتخذت تلونات جديدة، وأنتجت دلالات إضافية ومختلفة عن نظيراتها في السياقات الأخرى ، مما يبرز جانباً من جوانب إعجاز القرآن الكريم في هذا النوع من الترددات الأسلوبية في سياقاتها المختلفة، ومعرفة مناسبة كل سياق للتغير الحاصل في الصورة التشبيهية ، وإزاء ذلك يقول البقاعي :" إن الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر

الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج له ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له،...، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين أجزاء القرآن ،فإذا عقلته تبين لك وجه النص مفصلاً ،في كل آية ، وآية في كل سورة. " ( لخ)

مصطلحات البحث:

الصور: الصورة في أبسط معانيها -بحسب دي لويس - هي رسم قوامه الكلمات( بر)، كما أنها بمفهوم أكثر تفصيلاً " هي التعبير باللغة المحسوسة عن المعاني والخواطر والأحاسيس، فاللغة التصويرية أو لنقل اللغة الفنية ليست سرداً تقريرياً للحقائق، أو بثاً مباشراً للأفكار، ولكنها تجسيد وتمثيل لتلك الأفكار والحقائق في صورة محسوسة يعاينها المتلقي، ويدركها إدراكاً حسياً، فيكون لها —من ثم - فعاليتها في نفسه وعميق أثرها في وجدانه."( تر)

المتناظرة: جاء في لسان العرب" والنَّظِيرُ: المِثْلُ، وقيل: المثل في كل شيء. وفلان نَظِيرُك أَي مِثْلُك "( ير) ، والمقصود بالتناظر في هذا البحث ، الصور المتكررة والمتماثلة في صورة المشبه به تحديداً ، لأنه يعد مرتكز الصورة التشبيهية المتناظرة.

التشبيه: يكاد البلاغيون يتفقون على تعريف التشبيه ، ومن أبرز هذه التعريفات، كما هو عند العلوي الذي يعرفه بقوله: "هو الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى ما ، بواسطة الكاف ونحوها " (سم)، كما يعرفه القزويني بقوله:" الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"(شم).

التناسب السياقي: يقصد به ؛ أن لكل سياق ما يناسبه من الأبنية اللغوية والدلالية، مما يجعله مغايراً أو مخالفاً السياقات الأخرى.

منهج البحث: اتخذ البحث طريقة التحليل الوصفي للصورة التشبيهية في القرآن الكريم، ومقارنتها مع نظائرها المتكررة في سياقاته المختلفة ، وبيان الفروقات الصرفية والدلالية للصورة، وكيف لاءمت سياقها الجديد الذي وردت فيه.

---

[1] ) البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،دار الكتاب الإسلامي، 1984 ج1/ص18.
[2] ) دي لويس ، الصورة الشعرية ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرين، منشورات وزارة الثقافة ، العراق ، 1982،ص21.
[3] ) د: حسن طبل: الصورة البيانية في الموروث البلاغي، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر،ط1، 2005م، ص15.
[4] ) ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر بيروت(د.ت)، مادة (نظر) .
[5] ) يحيى بن حمزة العلوي: الطراز ، تعليق/ عبد الحميد هنداوي ،المكتبة العصرية، بيروت ، ط(1) ، ج/1، ص136.
[6] ) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق/ محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط2، ج/4 ، ص16.

**ثانيًا : المحور الأول: الإطار النظري والدراسات السابقة.**

**عن الصورة التشبيهية في القرآن الكريم.**

**إن ما يميز الصورة القرآنية أنها حية وفاعلة في بناء المعنى القرآني، والتعبير عن أحوال النفس البشرية، وعن الطبيعة وحركة الكون، وكما يشير دراز؛ أن التصوير القرآني له طبيعته الخاصة به في عرض المشاهد المختلفة، والموضوعات المتعددة، فهو لا يعتمد على إثارة الفكر وحده ليُقنِع، بل يتجه بكل طاقات اللفظ، ويستخدم جميع السبل والطرق كي يثير وجدان القارئ أو السامع إثارة روحية، رفيعة المستوى، فتتأثر التأثر التام من القرآن الكريم . ( لخ)**

**ويعد التشبيه من أكثر الصور البلاغية أهمية في أداء المعاني للمبدع ،من حيث إنتاج عوالم معادلة للواقع المعبر عنه من جهة ، ومن حيث تأثيره على النفوس وكلفها به من جهة ثانية، فضلاً عن دوره الجمالي في إظهار المعاني في أبهى صورها، وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن ذلك أثناء حديثه عن التمثيل بقوله: " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا .( بر)"**

**الدراسات السابقة: جاءت الدراسات التطبيقية للصورة التشبيهية في القرآن الكريم وفقاً لمسارين:**

**الأول: قسم درس التشبيه في إطار أبحاث الصورة في القرآن الكريم، ومن أهم تلك الدراسات:**

**. التصوير الفني في القرآن الكريم، لسيد قطب، ط(1983م) دار الشروق، القاهرة.**

**-الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب،ط(1995)، لونجمان، القاهرة.**

**-الصورة الفنية في القرآن الكريم، ألما سليمان المحمد، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة دمشق، 1995م.**

**وجميعها دراسات قَيِّمة وعظيمة، وُبذِلَ فيها جهد كبير أضاف إلى المكتبة العربية الشيء الكثير، وقد اتخذت منحى بحثياً يقوم على تتبع الصورة وبيان دلالتها وقيمتها البلاغية والجمالية في السياق القرآني المصاحب**

[1] ) د .محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم ،نظرات جديدة في القرآن، ، دار القلم الكويت، ط /2:1390 ص113.
[2] ) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص115.

لها، ومعرفة أوجه الإعجاز القرآني في هذا النوع من الصور، وبيان أثرها النفسي في تلقي الصورة، والكشف عن ألوان التصوير القرآني لأحوال النفس البشرية، أو المشاهد الطبيعية في الدنيا ، أو أحوال الآخرة ، وغيرها من ألوان التصوير.

الثاني: قسم أفرد التشبيه القرآني بأبحاث مستقلة ، لكنها تقوم على الغرض البحثي السابق نفسه في دراسات القسم الأول، ومن أهم تلك الدراسات: (التشبيه في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية) للباحث: سلامة جمعة عطا العجالين، وهو بحث ماجستير مقدم إلى جامعة مؤتة، الأردن، 2004م.

إلى جانب أن هذا البحث ركز على بيان الهدف من التشبيه في القرآن الكريم وبيان قيمه الأسلوبية المختلفة ، وهذه القيم تمنح الأسلوب الأدبي جمالاً ونبضاً وقوة، حيث جاءت هذه القيم في أسلوب التشبيه لغايات بلاغية تعرف من السياق ، وتدرك بالذوق البلاغي. وهي دراسة قيمة تعمقت في كثير من الجوانب الأسلوبية للتشبيه في القرآن الكريم.

ما يميز دراسة( التناسب السياقي للصور المتناظرة في القرآن الكريم).

إن ما يميز هذه الدراسة المتواضعة أنها تجمع بين علمي البيان والمعاني ، من حيث النظر في طريقة أداء المعنى في التشبيه ، ثم يدرس مواضع مجيء الصور المتناظرة في أكثر من سياق ، محاولة في الكشف عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني في هذه الظاهرة رأسياً وأفقياً ، ذلك أن الصور المتناظرة في تشبيهات القرآن الكريم ، والتي تكررت في سياقات مختلفة ، لم تظهر بالتشكل ذاته، إنما اتخذت تلونات جديدة، وأنتجت دلالات إضافية ومختلفة عن نظيراتها في السياقات الأخرى ، مما يبرز جانباً من جوانب إعجاز القرآن الكريم في هذا النوع من الترددات الأسلوبية في سياقاتها المختلفة، ومعرفة مناسبة كل سياق للتغير الحاصل في الصورة التشبيهية، وهو ما لم تركز عليه الدراسات الآنفة الذكر.

ثالثًا: المحور الثالث: الجانب التطبيقي للبحث:

ويتكون من ستة مباحث؛ تخص المعاني القرآنية التي حصل في التناظر والتكرار ، وهي على النحو الآتي:

1. تصوير عذاب الأقوام السابقة.
2. تصوير الحياة الدنيا.
3. تصويرالحور العين والغلمان المخلدين.
4. تصوير ضلال أمة الكفر.

5 . تصوير اتساع الجنة.

6 . تصوير أحوال يوم القيامة.

**أولاً : تصوير عذاب الأقوام السابقة :**

1 -قال تعالى : في قوم عاد " إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ❖ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ " القمر19 -20.

2 -وفي عاد أيضاً " وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ❖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ❖ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ " الحاقة 6 -7 -8.

المتأمل للموضوعين الذي ورد فيهما التشبيه يجده واحداً ؛ فهو عذاب قوم عاد بالريح الصرصر ، كما أن صورة المشبه به متناظرة في السياقين ، كونه جعل النخل الملقى على الأرض قاسماً مشتركاً بينهما ، غير أن فيهما اختلافاً لفظياً، في جزء منها ؛ فقد عبر مرة بلفظ (منقعر) في الأول ، وبلفظ( خاوية) في الثاني ، فهل هما شيء واحد ؟ تذهب كتب التفاسير - كما في الشوكاني - إلى أن المقصود بـ( مُنقعر) هو المنقطع المنقلع من أصله ، يقال : قعرت الناقة ؛ إذا اقتلعتها من أصلها حتى تسقط . شبههم في طول قاماتهم حين صرعتهم الريح وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الأرض التي ليس لها رؤوس ، وذلك أن الريح قلعت رؤوسهم أولاً ، ثم كبَّتهم على وجوههم( لخ)، وفي المعاجم العربية ، إن ( منقعر) من الفعل ( انقعر) والذي يعني : انقلع من أصله ( بر ) ، وهذا يتوافق مع سياق الآية الذي ذكر عبارة سابقة هي( تنزع الناس )؛ التي تناسب لفظ (مُنقعِر) ؛ لأن نزع الشي يعني قلعه من أصله. وفي السياق الآخر يذكر الشوكاني؛ " أن ( خاوية) تعني : ساقطة ، أو بالية ، وقيل خالية لا جوف فيها ، قال يحيى بن سلام : إنما قال خاوية ؛ لأن أبدانهم خلت من أرواحهم ؛ مثل النخل الخاوية ( تر)."، فلفظ (خاوية) وفقاً لدلالة السقوط والخلو تناسب التعبير السابق ( فترى القوم فيها صرعى) جمع صريع ؛ أي من يسقط ميتاً ، فيكون قد اجتمع في لفظ( خاوية) دلالتان : السقوط والموت ؛ وهو خلو الجسد من الروح . فهذا الاختلاف هو الذي أعطى للصورة التشبيهية التجدد والتغاير وفقاً للتغير في السياقين .

---

[1] ) الشوكاني ، فتح القدير ، دار الفكر ، بيروت(د.ت)،ص125.
[2] ) المعجم الوسيط ، المجمع اللغوي ، القاهرة ، إبراهيم أنيس وآخرون ، دار الأمواج ، القاهرة ،1987م،مادة (قعر).
[3] ) المرجع السابق 280

ثانياً: تصوير أحوال الحياة الدنيا: يقول تعالى :" وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً " الكهف45 ".

وفي سياق آخر يقول تعالى :" إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " يونس24

والمتأمل في الصورتين يجد بينهما مقارنة واضحة ؛ فالصورة في سورة يونس (خصبة) ثم تتحول إلى يابسة مجدبة :

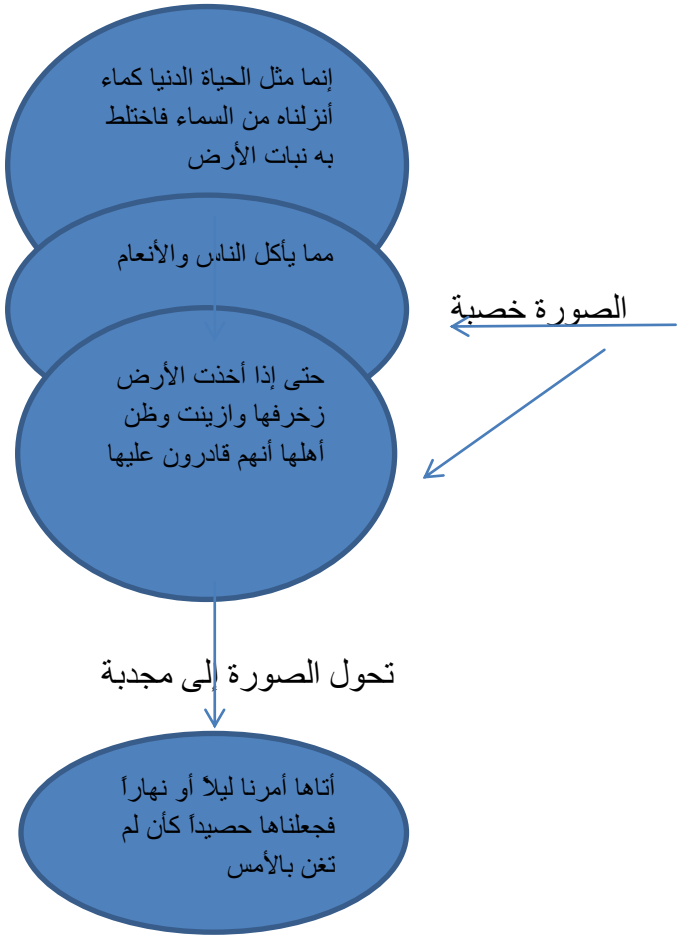

بينما الصورة في سورة الكهف تتحول سريعاً إلى (مُجدبة ) ولا يظهر فيها أشكال الجمال والخصب الموجودين في سورة يونس :

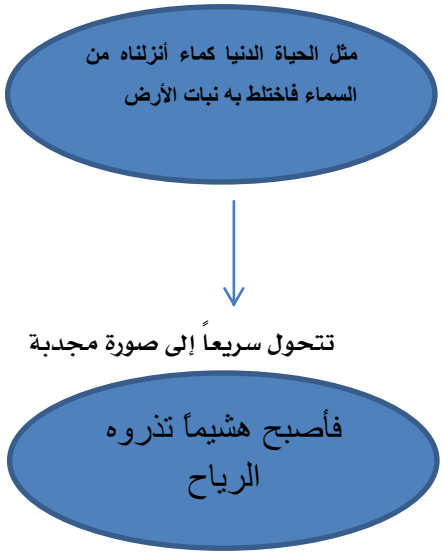


فبالمقارنة بين السياقين يبدو الإسهاب في توسيع صورة الحياة الدنيا في سورة يونس ، ويبدو الإيجاز في التصوير في سورة الكهف ، ففي سورة يونس هناك ماء السماء قد اختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، ثم تأخذ الأرض زينتها ، فيأتيها أمر الله ليلاً أو نهاراً ، فيجعلها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، بينما ينتقل في سورة الكهف إلى أن ماء السماء اختلط به نبات الأرض فيصبح هشيما تذروه الرياح ، وينتهي المشهد ؛ ولعل تلك اللقطة التصويرية في الكهف ممهورة بسياقها ؛ فقد وردت في سورة غرضها الأصلي تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام وتصبيره على البلاء هو وأصحابه بعد حصارهم في شعب أبي طالب ، وجاءت السورة في مصفوفة من اللقطات التصويرية لجملة من القصص القرآنية بدءاً بقصة الفتية الذين هربوا بدينهم ، انتهاء بقصة ذي القرنين ، مروراً بقصة موسى عليه السلام والعبد الصالح ، وذكر صاحبي الجنتين ، وجاء ذكر صورة الحياة الدنيا ختاما سريعاً لمشهد الحياة الدنيا الزائلة في قصة صاحبي الجنة وما دار بينهما من حوار ، ليضع مجالاً للاعتبار من خلال المشهدين اللذين يصوران حالة الدمار بعد النعمة والعمار .

بينما في سورة يونس ، جاءت الصورة المطولة في سياق يوازيها من الاتساع وذكر نعم الله الظاهرة؛ بدءاً من قوله تعالى :" إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ يونس 3 ، وقوله تعالى : " هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ " يونس5، وقوله : " إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ " يونس6 ، وقوله: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ❖ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }يونس22 -23 ، فقد انتهت الآية بذكر متاع الحياة الدنيا ثم بدأت الآية التالية التي هي مدار بحثنا : " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " يونس24

وكل هذا التفصيل يناسب التفصيل السابق في ذكر تلك النعم ، فحصل تمدد في الصورة بخلفيات إضافية؛ بذكر تفاصيل من النعم لم تذكر في سورة الكهف ( مما يأكل الناس ...الخ) ، يقول عبد القاهر : " فقد أطال من ذكر تلك المشاهد وعرض متاع الحياة الدنيا لغرض أخذ العبرة والعظة من تلك المشاهد ؛ فإنه على جمالها وروعتها واستغراق الناس فيها تأتي الخطفة الإلهية فتحيلها إلى دمار، وقد نبه عبد القاهر إلى أهمية التفصيل في التشبيه بقوله : " إنك متى زدت في التشبيه على مراعاة وصف واحد ، أو جهة واحدة ، فقد دخلت في التفصيل والتركيب ، ودخلت باب التفاضيل ، ثم تختلف المنازل في الفضل بحسب الصورة في استنفادك قوة الاستقصاء ، أو رضاك بالعفو دون الجهد." ( لخ)

ثالثاً: تصوير الحور العين والغلمان المخلدين:

. قال تعالى:" وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ❖كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ" الصافات48 -49

. وقوله تعالى :" وَحُورٌ عِينٌ❖كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ "الواقعة22 -23

. وقوله تعالى: " وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ "الطور24

[1] ) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، قراءة وتعليق محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة وجدة، 1991م، 164.

قال تعالى : " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ❖ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ " الرحمن55 -56 -57

يلاحظ في الصورة الأولى مجيء المشبه به (بيض مكنون)، وفي الثانية والثالثة(لؤلؤ مكنون) ، والفرق بين هذه الصور أن الأولى(بيض مكنون) تناسب (قاصرات الطرف) لأنهما يرمزان لحالتين ثابتتين من الجمال (قصور الطرف+ البيض المكنون)، بينما في الثانية نجد (حور عين) تناسب(لؤلؤ مكنون) ،إذ هما يرمزان لعنصرين جماليين يعكسان حالة جمالية متلونة، فالحور العين كما في الشوكاني من الحوراء ؛ وهي البيضاء، قال مجاهد: سميت حوراء لأته يحار الطرف في حسنها، وقيل هو من حور العين ؛ وهو شدة بياض العين في شدة سوادها. ( لخ) فالحور العين تظهرن ببياض أجسامهن مع جمال عيونهن بشدة سواد السواد وشدة بياض البياض، وهذا الظهور الأخّاذ يناسبه صورة(اللؤلؤ المكنون) بجماله وبريقه. ومثل ذلك جمال صورة الولدان المخلدين تأخذ الشكل نفسه في التشبيه بصورة اللؤلؤ المكنون.

أما الصورة في قوله تعالى " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ❖ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ " الرحمن55 -56 -57 ، نجد أن الصورة تحولت إلى (الياقوت والمرجان)، وذلك لمناسبة الفاصلة في سورة الرحمن، التي تنتهي بـ(ألف ونون).

وإذا ما تم النظر إلى اقتران صورة المشبه به بأداة التشبيه، فسنجد ظهور الأداة(كأنَّ) جاءت في كل السياقات عدا سياق سورة الواقعة" وَحُورٌ عِينٌ❖كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ " إلا أنها باقتران (الكاف) + كلمة أمثال ، فإنها توازي في التوكيد (كأنَّ).

وإذا نظرنا لسائر سياقات (كأنَّ) سنجد الآتي :

في سورة الرحمن سبق سياق الصورة سياق آخر مؤكِد ، وهو {فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } المتكررة في سائر السورة ، فناسب مجيء (كأنّ) للتساوق مع دلالة التوكيد .

في سورة الصافات " وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون " ، جاءت هذه الصورة في سياق تأكيدي أيضاً ، في إزاء وعيد المشركين بدخول جهنم ، واستثناء عباد الله المخلصين الذين استحقوا دخول الجنة ، وما سيلاقونه من نعيم ، بدءاً من قوله تعالى " إلا عباد الله المخلصين ، أولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون ، في جنات النعيم " إلى قوله تعالى " وعندهم قاصرات الطرف عين ، كأنهن

[1] ) الشوكاني : فتح القدير، راجعه يوسف الغوش،دار المعرفة ، بيروت ط4، 2007م، ص1354، تفسير الآية 54، سورة الدخان(كذلك وزوجناهم بحور عين).

بيض مكنون " ، فالسياق المكتنف للصورة سياق تأكيدي ، لتقوية الدلالة حول مصير الكافرين ، ومصير المؤمنين ، والمقارنة بينهما .

وفي سورة الطور " ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون " ، جاءت الصورة تتحدث عن غلمان الجنة في سياق يؤكد النعيم المقيم لأهلها من خلال سبع آيات سابقة ، بيد أنه في سورة الواقعة لم يستخدم الأداة (كأنّ) كما في جميع الصور السابقة ، إنما استخدم (كأمثال) الكاف + أمثال ، قال تعالى" وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون " ، وهو أسلوب تأكيدي أيضاً بذكر الكاف مع لفظ(أمثال)، ويتساوق مع سائر السياقات في الآيات الأخرى القائمة على تأكيد تلك النعم ، كما أن (الكاف +أمثال) تناسب سياقها إيقاعياً عما لو قال (كأنهن لؤلؤ مكنون) ، وذلك لحدوث ثقل في توالي نونين مشددتين في (كأنّهنّ) إلى جانب إتباعهما بكلمة فيها همزتان مضمومتان (لؤلؤ) ، بينما لا يوجد ثقل في( كأنهم لؤلؤ مكنون) المقترن بغلمان الجنة ، كون ميم الجمع ساكنة ، وكذلك لا يوجد ثقل في ( كأنهن الياقوت المرجان ) في سورة الرحمن ، لوجود كلمتين سالكتين إيقاعياً مع (كأنهن) وهما (الياقوت والمرجان) ، وتناسبان إيقاع الفاصلة القرآنية لسورة الرحمن كلها لوجود المد مرتين في (الياقوت) ، واختتام المرجان بحرف النون الذي تقوم عليه الفاصلة . كما أن هناك تناسباً إيقاعياً ودلالياً بين ( كأنهن بيض مكنون) في سورة الصافات لعدم توالي الأصوات الثقيلة ؛ فكلمة (بيض) أخف من كلمة (لؤلؤ) .

وهناك ناحية أسلوبية أخرى في تعدد ألوان الصورة التشبيهية ؛ فتارة تظهر على شكل الياقوت والمرجان ، وتارة أخرى اللؤلؤ المكنون ، وتارة ثالثة البيض المكنون ، وكل هذا من باب التلوين ودفع الرتابة في الأسلوب ، ولغرض التشويق والإبهار، وإبراز الصور على نحو جمالي متنوع .

مما سبق نجد أن ألفاظ الصورة التشبيهية تناسب سياقاتها التي حلّت فيها إيقاعياً ودلالياً ، رأسياً وأفقياً ، وهو ما تؤكد عليه الوظيفة الأسلوبية الجمالية في أدبيات الدرس الأسلوبي الحديث .

رابعاً: تصوير ضلال أمة الكفر.

أ_ التصوير بـ(الأنعام).

ـ قال تعالى:" أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً "الفرقان44

ـ وقال تعالى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ "الأعراف179

ـ وقال تعالى :"إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ "محمد12

في السياق الأول في قوله تعالى:" أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً "الفرقان44، الأنعام تعبير بهيمي ندرك منه الحالة التي وصلوا إليها، حين لم يعملوا ما وهبهم الله من هذه الحواس في معرفة الحق واتباع سبيله، بل أصبحوا أضل سبيلاً من تلك الأنعام، إذ الأنعام تتعرف طريقها ومأكلها وشربها غريزة وجبلّة وعادة، ثم هي لا تخطي ذلك، وقد أعطاها الله سمعاً وبصراً ، ولم يمنحها عقلاً وتفكيراً ، فأي الفريقين أشد ضلالة، من أكرمه الله بالعقل فلم يفرق بين سبيل الحق وسبل الباطل، أم من سلبه ذلك ، وينقاد لصاحبه ولا يخطئ مسالكه؟! " فَكَانَ تَشْبِيهُهُمْ بِالْأَنْعَامِ تَبْيِينًا لِلْجَمْعِ بَيْنَ حُصُولِ اختراق أصوات الدعْوَةِ آذَانَهُمْ مَعَ عَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ بِهَا لِعَدَمِ تَهَيُّئِهِمْ لِلِاهْتِمَامِ بِهَا، فَالْغَرَضُ مِنَ التَّشْبِيهِ التَّقْرِيبُ وَالْإِمْكَانُ "( لخ)

والتشبيه بالأنعام لم يأت منفرداً، بل جاء في سياق اقترن بتعبير يضاعف من التأكيد على ذمهم(بل أهم أضل) مما يزيد من الصورة امتداداً وأفقاً أرحب، فلو كان اكتفى بصورة الأنعام، لذهب المعنى إلى الدلالة المعلومة من لفظ الأنعام، وهي البهيمية وعدم الإدراك ، بينما الصورة المقترنة بالضلالة مصحوبة بأسلوب الإضراب متبوعاً بأفعل التفضيل والتمييز الملحوظ (بل هم أضل سبيلاً)، تمنح إيحاء جديداً أنهم أرذل من الأنعام وأحط منها ، وأشد ضلالة، لما عرفوا من الحق فلم يتبعوه، فعطلوا عقولهم وحواسهم.

بينما في السياق الثاني في قوله تعالى:

"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ "الأعراف179

نجد أن الصورة التشبيهية نفسها، ومتبوعة بالألفاظ نفسها(بل هم أضل)، لكن بمُقترِن إضافي جديد هو( أولئك هم الغافلون)، وهذه الإضافة المختلفة اقتضتها طبيعة السياق المختلفة هنا، فالسياق في هذه الآية فيه شيء من التفصيل والتوضيح" لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا"، فهذه الزيادة اقتضت زيادة أخرى مكافئة لها في نهاية الآية(أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)، فمن يكون حاله بذلك

[1] ) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج/19ص37.

التعطيل لحواسه، يكون الحكم عليه بالغفلة الدائمة، وفقاً لما تقتضيه الجملة الاسمية من معاني الدوام والثبات.

أما في السياق الثالث فصورة الأنعام مختلفة، قال تعالى :"إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ "محمد12

فقد أوضحت الصورة الاشتراك الحاصل بين صفات الذين كفروا، وبين صفات الأنعام، على سبيل التشبيه التمثيلي الذي يعتمد على التشبيه بين الأحوال، وليس التشبيه بين الذوات ، فحالهم حين يأكلون ويتمتعون كما هو حال الأنعام، أي افتقدوا وظيفتهم في الحياة، وهي عبادة الله سبحانه، وجروا يلهثون إلى متع الحياة وملذاتها، فلا فرق بينهم وبين الأنعام.

ولعل ذكر صفة التمتع والأكل في هذا السياق، واختلافه عن السياقات الأخرى، هو أن الآية في سورة محمد صُدرت بالحديث عن المؤمنين في الجنة، وما أعد الله لهم من النعيم المقيم، جزاء بما قدموا في حياتهم، أما أولئك الكفرة، فقد نالوا متعهم في الحياة الدنيا واطمأنوا بها، فذيلت الآية بذكر عاقبتهم في النار، فقد حفت النار بالشهوات والمتع ، وحفت الجنة بالمكاره والابتلاءات، فكان التشبيه والمقارنة من جنس السياق .

ب ـ التصوير بإغلاق منافذ الحواس.

قال تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ } البقرة17 {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ } البقرة18

وقال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ } البقرة71

في الآيتين السابقتين تظهر صورة المشبه به متطابقة(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ)، بينما المختلف هو في صورة المشبه، فالسياق الأول يَظْهَر المنافقون في صورة المشبه، بينما في الآية الثانية يتمثل المشبه في صورة الذين كفروا ، والاختلاف حاصل أيضا في امتداد صورة المشبه به من جهة أخرى(فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ)،( فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)، الأولى ارتبطت بعدم الرجوع؛ لأن السياق السابق يدل على إطباق الظلام عليهم من كل ناحية، فلا يستطيعون رجعة إلى الحق، يقول الشوكاني: ف" المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم ، فعرف الحلال من الحرام والخير من

الشر، فبينما هو كذلك، إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر، فهم صم بكم وهم الخرس، فهم لا يرجعون إلى الإسلام،...، فالنور هو إيمانهم الذي يتكلمون به، وأما الظلمة فهو ضلالهم. " ( لخ)

بينما السياق الثاني اقترن بعدم العقل، لأن سابقه دل على ذلك، فهو يردد ويصيح بما لا يفهم، والمعنى كما يقول النسفي:" ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة، ودوي الصوت، من غير إلقاء أذهان، ولا استبصار، كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه، الذي هو تصويت بها، وزجر لها، ولا تفقه شيئاً آخر كما يفهم العقلاء".( بر)

ـ قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }الأنعام39، في هذا السياق حذف لفظ(عُمْي)، لدلالة لفظ الظلمات عليه، ولدلالة السياق الشرطي اللاحق(مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ).

قال تعالى: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ }هود24

هذه الآية سبقت بآيات توضح صفات الفريقين وأحوالهما:

"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ{18} الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ{19} أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ{20} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ{21} لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ{22} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{23} مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ".

ويمكن توزيع المشبه المتعدد ، وكذا المشبه به في هذه الصورة على النحو الآتي:

| المشبه المتعدد | المشبه به المتعدد |
|---|---|
| الفريق الأول | الأعمى |

[1] ) الشوكاني: فتح القدير، ص47.

[2] ) النسفي : (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق/ يوسف علي بدوي، ومحيي الدين ديب، بيروت، دار الكلم الطيب، ط1، 1998م، ص150.

| | |
|---|---|
| الذين افتروا على الله كذباً | والأصم |
| ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا | |
| كافرون بالآخرة | |
| ما كانوا يستطيعون السمع | |
| وما كانوا يبصرون | |
| الفريق الثاني | السميع |
| الذين آمنوا وعملوا الصالحات | والبصير |
| وأخبتوا إلى ربهم. | |

وكان من دلائل الإعجاز القرآني أن اختزل تلك الأحوال والأوصاف المتعددة، في الألفاظ (الأعمى والأصم) و( والسميع والبصير).

خامساً: تصوير اتساع الجَنَّة.

ـ قال تعالى:" وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ "آل عمران133

وقال تعالى: "سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "الحديد21

وَتَشْبِيهُ عَرْضِ الْجَنَّةِ بِعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَيْ مَجْمُوعُ عَرْضَيْهِمَا لِقَصْدِ تَقْرِيبِ الْمُشَبَّهِ بِأَقْصَى مَا يَتَصَوَّرُهُ النَّاسُ فِي الِاتِّسَاعِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَحْدِيدَ ذَلِكَ الْعَرْضِ"( لخ) ، والمتأمل في النظر إلى هاتين الآيتين يجد من التطابق بينهما في صورة المشبه(عرض الجنة)، وصورة المشبه به( عرض السموات والأرض)، كما يجد من أوجه الاختلاف أيضاً في:

| | |
|---|---|
| سورة آل عمران | سورة الحديد |
| وسارعوا | سابقوا |
| أعدت للمتقين | أعدت للذين آمنوا بالله ورسله |

الصورتان التشبيهيتان متطابقتان عدا في ذكر أداة التشبيه الكاف في الحديد، وحذفها في آل عمران ، فذكر الكاف في سورة الحديد جاء دلالة على زيادة تقريب الصورة في الأذهان، وبيان قياسها ومقدارها، وهو من

[1] ) ابن عاشور : التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج27ص408.

أغراض التشبيه المعروفة، وفي ذلك زيادة في الحث على الإيمان بالله ورسله والترغيب فيه، فكان أدعى إلى استعمال الكاف لتحديد درجة المشبه به. ولما كان المشبه أظهر من المشبه في التصوير، فذكر الأداة زيادة أخرى لبيان الإظهار، بينما في آل عمران ذكر أن الجنة أعدت للمتقين مع حذف أداة التشبيه. وبالعودة إلى السياق السابق للآية في آل عمران نجد أن الكلام قد سيق بدءاً للذين آمنوا عموما، قال تعالى:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ{130} وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ{131} وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ{132}آل عمران.

وفيه حثهم على التقوى(وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، (وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)، إذن فقضية الإيمان موجودة، لكنه حثهم على التقوى لأنها أعلى مراتب الإيمان، أكد على ذلك بقوله:(وسارعوا) ، بزيادة الواو العاطفة ليدل على أنهم سائرون في الطريق الصحيح، وهو الإيمان، وما عليهم إلا المسارعة في ذلك الطريق، والتزود من تقوى الله والخوف منه، فهو خير الزاد، وخير المعين.

وأما في سياق سورة الحديد فقد كان الحث على الإيمان بدءاً بالله وبرسله، إذ الكلام موجه لعموم الناس،" سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "الحديد21

فكان مناسباً أن يقول :( أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ)، كما أنه ذكر في بدء الآية ( سابقوا) ، ولم يقل( وسارعوا) ، أي أراد من السبق إلى المكافأة العظيمة، وهي الجنة، فأيما أمة سبقت بإيمانها بالله وبرسله، كان جزاؤها الجنة.

ومن ثم فسياق سورة الحديد عام بالإيمان بالله ورسله ، بينما سياق آل عمران خاص بالمتقين.

سادساً: تصوير أحوال يوم القيامة.

أـ التصوير بـ(المُهْل):

ـ قال تعالى: " يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ }المعارج8

ـ وقال تعالى: " إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً }الكهف29

ـ وقال تعالى: " إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ " الدخان45.

1ـ تصوير أحوال السماء بـ(المُهْل).

في اللغة؛ جاء في اللسان : المُهْل اسمٌ يجمع مَعْدِنِيَّات الجواهر.و(المُهْل) ما ذاب من صُفْرٍ أَو حديد، وهكذا فسر في التنزيل، والله أَعلم. وقوله عز وجل: "يُغاثوا بماء كالمهل" ؛ يقال: هو النُّحاس المذاب ( لخ) ، قال الأَزهري: ومثله قوله: فكانت وَرْدةً كالدِّهانِ ( قوله «فكانت وردة كالدهان» في الازهري زيادة: جمع الدهن) قال أَبو إِسحق: كالدِّهان أَي تَتَلوَّن كما يتلوَّن الدِّهان المختلفة، ودليل ذلك قوله تعالى: "كالمُهْل يَشْوي الوُجوه" ؛ فدَعا بفِضة فأَذابها فجَعلتْ تَميَّع وتَلوَّن، فقال: هذا من أَشبَهِ ما أَنتم راؤون بالمُهْل ؛ قال أَبو عبيد: أَراد تأْويلَ هذه الآية. ( بر)

من هذه الدلالات يتبين أن (المُهل) هو ذائب معدني ، أي أن الحق سبحانه لم يشبه السماء يوم القيامة بالمُهل ، إلا وهي في أصل خلقها بناء محكم من معادن وغازات كما يؤكد ذلك العلم الحديث ، " فعندما بدأ العلماء باكتشاف الكون أطلقوا عليه كلمة space أي (فضاء)، وذلك لظنهم بأن الكون مليء بالفراغ، ولكن بعدما تطورت معرفتهم بالكون واستطاعوا رؤية بنيته بدقة مذهلة، ورأوا نسيجاً كونياً cosmic web محكماً ومترابطاً، بدؤوا بإطلاق مصطلح جديد هو (بناء) أي building( تر). أكدت على ذلك قوله تعالى : "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ "غافر64، فوجد أولئك العلماء أن السماء بناء محكم التشييد، دقيق التماسك والترابط، وليست فراغاً كما كان يعتقد إلى عهد قريب، وقد ثبت علمياً أن المسافات بين أجرام السماء مليئة بغلالة رقيقة جداً من الغازات التي يغلب عليها غاز الإيدروجين، وينتشر في هذه الغلالة الغازية بعض الجسيمات المتناهية في الصغر من المواد الصلبة، على هيئة غبار دقيق الحبيبات، يغلب على تركيبه ذرات من الكالسيوم، والصوديوم، والبوتاسيوم، والتيتانيوم، والحديد، بالإضافة إلى جزيئات من بخار الماء، والأمونيا، والفورمالدهايد، وغيرها من المركبات الكيميائية. وبالإضافة إلى المادة التي تملأ المسافات بين النجوم، فإن المجالات المغناطيسية تنتشر بين كل أجرام السماء لتربط بينها في بناء محكم التشييد، متماسك الأطراف، وهذه حقيقة لم يدركها العلماء إلا في القرن العشرين، بل في العقود المتأخرة منه. ( ير)

---

[1] ) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (مهل).
[2] ) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (مهل).
[3] ) البناء الكوني، لعبد الدائم الكحيل، نقلاً عن موقع:http://www.nooran.org/O/23/23-5.htm
[4] ) والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون، للدكتور زغلول النجار، نقلاً عن موقع:
http://www.islamiyyat.com/e3jaz2.htm

فالحديد عنصر معدني لم يوجد في أصله من مكونات الأرض ، وإنما أنزله الله من السماء ، قال تعالى : " وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ" الحديد 25، ومما يدل على وجود المعادن في السماء ، النحاس مثلاً ؛ كما في قوله تعالى : " يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ " الرحمن35 ، وقد ذكر القرآن الكريم في حديثه عن السماء وعن بنائها طبيعة ذلك البناء في كثير من الآيات منها :

." والسماء ذات الحبك" الذاريات 7 " - "رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا "النازعات28 - "وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً "النبأ: 12، "وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَاباً "النبأ19 - "وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ "التكوير11 ، ولا يكون الكشط إلا لشي صلب قوي ، ومنه قوله تعالى - " إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ " الانفطار1 ، "إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ "الانشقاق1"، "وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً "الفرقان25، "وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ "الأنبياء32 ، "وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ "الحجر14، "أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً "الإسراء92.

كل ذلك يدل على أن اختيار اللفظ القرآني ( المُهل ) في موقع المشبه به مناسباً في سياقه ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بأصل خلق السماء المحكم المتماسك الصلب المتين من تلك المعادن والغازات .

2.. تصوير طعام الكافرين في النار بـ(المُهْل) :

في المقابل نجد تكرار التشبيه بـ(المهل) في قوله تعالى : {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ، طَعَامُ الْأَثِيمِ ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ }الدخان34 -44 -45، وقوله تعالى في سورة الكهف: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً }الكهف29 ، والتعبير بالمهل يدل على أن ما يدخل في جوف أهل النار ،أو ما يصب على وجوههم ، هو أشد ما يمكن التعبير به ، وهو (المُهْل) : وهو المعدن الذائب كما عرفنا ، ولنا أن تخيل ذلك العذاب – والعياذ بالله - الذي يغلي في بطونهم ، فيصهر أمعاءهم صهراً ، ويشوي وجوههم فتذيبها، وذلك أشد العذاب وأفضعه وأقساه ، فإن أثر قوة المعدن عند صهره وصبه على الجلد أو اللحم يكون أشد من أي شيء آخر ، لقوته في التمزيق والتشويه والصهر وإحداث أشد الألم .

ب ـ التصوير بـ(العِهْن):

صورة العهن في الجبال مقابل صورة المهل في السماء :

العهن هو المشبه به لأحد مشاهد صورة الجبال يوم القيامة مقابل صورة السماء( صورة المهل)؛ قال تعالى : " يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن " 8 -9 المعارج، فصورة الجبال المتحولة إلى العهن تدل أن أصل خلقها من مكونات الأرض ، وهي مكونات ضعيفة من التراب وبعض المعادن مقارنة بطبيعة خلق السماء العظيم ، ومن ثمَّ قال :(كالعهن) ، أي : الصُّوفُ المَصْبُوغُ أَلواناً ( لخ) ، هو ذو طبيعة ضعيفة متطايرة ، وفي آية أخرى {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ }القارعة5، فزاد في هذا السياق ذكر(المنفوش) ، للدلالة على التشتيت ، إذ السياق يقتضي ذلك، فقد ذكر قبلها" يوم يكون الناس كالفراش المبثوث". والمتابع لمشاهد القيامة في القرآن الكريم، يجد في كل مرة يتم التقاط مشهد مختلف عن المشاهد الأخرى في سائر القرآن الكريم.

ويمكن المقارنة بين مشهدي الجبال يوم القيامة من خلال(صورة العهن) عبر الترسيمة الآتية:

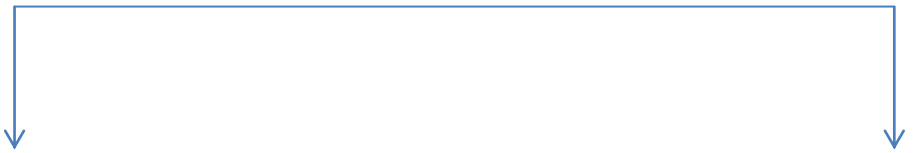

| سورة المعارج | سورة القارعة |
| --- | --- |
| وتكون الجبال كالعهن | وتكون الجبال كالعهن المنفوش |
| مشهد تحول إلى حالة ضعف | مشهد تحول إلى حالة ضعف |
| | + تشتيت وتناثر |

[1] ) ابن منظور : اللسان ، مادة (عهن).

الصورة في المعارج جاءت عبر مشهد موجز، فكان التقاط الصورة سريعاً، فلم يصف العهن بأي وصف إضافي، واكتفى بمشهد التحول فحسب، من مشهد الجبال العظيمة الشامخة الصلبة إلى مشهد العهن أو الصوف، بينما زاد في سورة القارعة مشهد التشتيت والتطاير، للدلالة على الضعف الشديد والتناثر.

ج. التصوير ب(الهباء) " {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً ،فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً } الواقعة 5 -6

وقال تعالى: " {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً }الفرقان23، الهباء كما في اللسان: الهباء :الغُبار، وقيل: هو غُبار شبه الدُّخان ساطعٌ في الهَواء "( لخ) ، وفي الكشاف : والهباء : ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار ( بر)، ولما كان الهباء هو الغبار المتطاير ، أو ما هو أدق من الغبار، فحبات الغبار هي أصل التراب والأحجار ، التي تتكون منها الجبال ، فتلك الجبال الشامخة على قوتها وصلابتها وشموخها ، تتحول يوم القيامة إلى جزيئاتها الصغيرة وهي أجزاء الغبار الأصغر أو(الهباء) ، وقد شبه القرآن الكريم إحباط أعمال الكافرين وانتهائها بتحولها إلى الصفة المتلاشية كالغبار أو الهباء ، و دلالة التشبيه بالهباء ؛ أن تلك الأعمال، وإن كانت عظيمة عظم الجبال ، فإن الله سبحانه يحبطها ، فلا يكون لها وزن يوم القيامة ، وجاء التشبيه القرآني متوافقا مع ما يعرفه الناس من تلاشي الغبار ، الذي لا وزن له ، يقول الزمخشري : شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده ، وأنه لا ينتفع به ، ثم بالمنثور منه ، لأنك تراه منتظما مع الضوء ، فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب. ( تر)

الخاتمة : وتتضمن الخاتمة النتائج والتوصيات والمقترحات:

أولاً : النتائج:

من خلال ما سبق التوصل إليه في هذه الدراسة ، يمكن إجمال ما خَلُصَتْ إليه في جملة من النتائج الآتية :

-إن علم المناسبة في القرآن الكريم هو من أجل العلوم التي تكشف عن جانب يعد من أهم جوانب الإعجاز البلاغي في هذا اللون من الصور التشبيهية المتناظرة ، فهي على تناظرها وتكرارها في عوارض سياقية مختلفة قد ظهرت بإضافات وروافد جديدة ، أو بأبنية لغوية ودلالات مختلفة تناسب سياقها الذي وردت فيه.

[1] ) ابن منظور : اللسان ، مادة (هبا-هبو)
[2] ) الزمخشري ، الكشاف ،تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط(1) 1998ص343.
[3] ) المصدر نفسه ،ص343.

-إن التكرار في القرآن الكريم يمثل سمة بلاغية لها أساليبها الصياغية وكفاءتها التواصلية، التي تؤثر وتمتع في آن واحد.

-إن قيمة الصورة البلاغية ليس في تتبع تصنيفاتها وتقسيماتها وحسب ، بل في إخراجها إلى ساحة أرحب تجعل منها عنصراً فاعلاً في بناء الأسلوب وإنتاج الدلالات، وفي تفاعلها مع سياقاتها التي ترد فيها ، ومدى مناسبتها لتلك السياقات ، والمجاوزة في دراسة الصورة القائمة على علاقة المشابهة مستوى الطرفين إلى البحث في علاقاتها بمستويات أوسع في الجملة والسياق اللغوي والحالي ، ودراسة الصورة لا على أنها أسلوب بلاغي مستقل ، بل ترتبط بمنظومة لغوية ودلالية، تتظافر جميعها لبيان بعض من سمات الأسلوب القرآني المعجز.

ثانيًا: التوصيات والمقترحات:

يدعو البحث في دراسة الظواهر الأسلوبية في القرآن الكريم إلى التركيز على علم المناسبة في القرآن الكريم، وربط الظواهر الأسلوبية القرآنية المتكررة بنظائرها في السياقات المختلفة ، وبيان أوجه الفرق في المعاني والدلالات القرآنية، وما تتسم به تلك الظواهر من التلاؤم والتناسب مع تلك السياقات التي وردت فيها.

ويمكن أن تتبنى أبحاثٌ أخرى دراسةَ ألوانٍ أخرى من التصوير القرآني ، أو ظواهر أسلوبية لها صفة التكرار والتناظر، ودراستها وفقاً لآلية المناسبات السياقية لكل ظاهرة قرآنية تتردد في كتاب الله العزيز.

المصادر والمراجع

المصادر:

. القرآن الكريم.

المراجع:

. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، المجمع اللغوي في القاهرة، دار الأمواج، 1987.

. البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984.

. ابن عاشور : التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1984.

. ابن منظور : لسان العرب، دار صادر بيروت(د.ت).

. ألما سليمان المحمد : الصورة الفنية في القرآن الكريم .رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة دمشق ، 1995م .

. د/ جابر عصفور ، الصورة الفنية في الموروث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط(3) 1992.

. د: حسن طبل: الصورة البيانية في الموروث البلاغي، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر،ط1، 2005م.

. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق/ محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط2.

. دي لويس ، الصورة الشعرية ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرين، منشورات وزارة الثقافة ، العراق ، 1982.

. الزمخشري ، الكشاف ، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط(1) 1998.

. سلامة جمعة عطا العجالين: التشبيه في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن، 2004م.

ـ سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم . دار الشروق بيروت ط(8)1983م.

. الشوكاني ، فتح القدير ،دار الفكر ، بيروت(د.ت).

. فتح القدير، راجعه يوسف الغوش،دار المعرفة ، بيروت ط4، 2007م.

. صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم . مكتبة لبنان ، الشركة المصرية (لونجمان ) ، 95م.

. عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة قرأه وعلق عليه محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة وجدة، ط(1)1991 م.

. د/ عدنان حسين قاسم ، التصوير الشعري، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة 2000م.

. د .محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم ،نظرات جديدة في القرآن، ، دار القلم الكويت، ط / 2:1390هـ.

. د/ محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية لونجمان،1997م.

. د/ محمد فكري الجزار ، سيموطيقا التشبيه، من البلاغة إلى الشعرية، نفرو للنشر والتوزيع، القاهرة، ط(1)2007م.

. النسفي : (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق/ يوسف علي بدوي، ومحيي الدين ديب، بيروت، دار الكلم الطيب، ط1، 1998م.

. يحيى بن حمزة العلوي: الطراز ، تعليق/ عبد الحميد هنداوي ،المكتبة العصرية، بيروت ،

ط(1)2000م.

## مواقع الإنترنت

. د/ زغلول النجار: والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون، موقع:

. http://www.islamiyyat.com/e3jaz2.htm

. عبد الدائم الكحيل: البناء الكوني، ، موقع:

http://www.nooran.org/O/23/23-5.htm